كتاب الورقة

تأليف محمد بن داود بن الجراح [1]

الكاتب المتوفى سنة ٢٩٦ للهجرة

صاحب الورقة — محمد بن داود بن الجراح ويكنى أبا عبد الله من أسرة أدب وسياسة ، فقد كان والده داود بن الجراح يكتب للمستعين وله من الكتب : كتاب التاريخ وأخبار الزمان وكتاب الرسائل ، وكان ابن أخيه علي بن عيسى بن داود على ما يذكره [2] ابن النديم بمنزلة من الرياسة يجل وصفها ، ومن الصناعة والفقه بما هو أشهر وأظهر ، ووزر للمقتدر ثلاث دفعات .

أما محمد بن داود فقد وزر لعبد الله بن المعتز في يوم خلافته ، وكان عالماً قد لقي الناس ، وأخذ عن العلماء والفصحاء والشعراء ، واتسع اطلاعه على أيام الناس وأخبارهم ودول الملوك وله في ذلك مصنفات ، وكتب بخطه ما لا يحصى كثرة ، وجميع ما يقع بخطه قد قرأه وأصلحه .

مصرعه — قال ابن النديم : وظهر بعد فتنة ابن المعتز إلى مؤنس الخادم

---

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي طبع مصر ٢ : ٢٠٢ ، والفهرست لابن النديم طبع لايبسيغ ص ١٢٨ وطبع الرحمانية بمصر ص ١٨٥ ، والكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٣و٥و٦و٧ في سنة ٢٩٦ هجرية .

(٢) الفهرست طبع لايبسيغ ص ١٢٨ ، طبع مصر ص ١٨٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان له قدم في أمره ، وخافه أبو الحسن بن الفرات فأشار بقتله فقتل ؛ وقال أبو عمرو محمد بن يوسف القاضي [1] : لما جرت واقعة ابن المعتز حبست أنا وابن المثنى ومحمد بن داود الجراح ، فكنا في دار في ثلاثة بيوت متلاصقات وبيني في الوسط ، واذا أجنّنا الليل تحدثنا من وراء الجدار وأفضي بعضنا الى بعض ، فلما كان في بعض الليالي دخل الناس بشموع الى بيت محمد بن داود وأخرجوه وأضجعوه للذبح ، فقال يا قوم ذبحنا كالشاة ، أين المصادرات ، أين أنتم من الأموال ، أنا أفدي نفسي بكذا وكذا ، فلم يسمعوا منه وذبحوه وأخذوا رأسه وألقوه في البئر ، ثم أخرجوا ابن المثنى بعد ما ذهبوا وعادوا ، وقالوا : يا عدو الله يقول لك أمير المؤمنين : بمَ استحللت نكث بيعتي ؟ فقال لعلمي أنه لا يصلح ، فذبحوه وأخذوا رأسه ، وألقوا جثته في البئر ، ومضوا وعادوا وأخرجوني وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين : يا فاعل ، ما الذي حملك على نكث بيعتي ؟ قلت : لشقاوتي وقد أخطأت وأنا تائب الى الله تعالى ، فحملوني الى دار الخلافة ، وابن الفرات جالس ، فوبخني فتنصلت واعتذرت ، فقالوا : وهب لك أمير المؤمنين ذنبك ، واشتريت دمك وجرمك بمائة ألف دينار ، فقلت : والله ما رأيت بعضها مجتمعاً قط ، فغمزني الوزير فأديت البعض وسومحت بالباقي ، وكانت وفاة ابن الجراح سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة

شعره — ولابن الجراح شعر يدل على صحة طبع وتشاؤم نفس ، ولم نظفر من شعره القليل بما يكفي للحكم الصادق عليه فمنه قوله :

قد ذهب الناس فلا ناسُ ... وصار بعد الطمع اليأسُ
وسامن أمرَ القوم أدناهم ... وصار تحت الذنب الراس

وقوله :

أعين أخي لو صاحبي في مصابه ... أقوم له يوم الحفاظ وأقصدُ
ومن يفرد الأقوام فيما ينوبهم ... تبته الليالي مرةً وهو مفرد

كتاب الورقة — وللمترجم مصنفات ممتعة جمة منها كتاب الشعر والشعراء

(١) وفاة الوفيات ٣ : ٢٠٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لطيف ، وكتاب من سمي عمراً في الجاهلية والاسلام ، وكتاب الوزراء ، ولم نعثر منها على غير كتاب الورقة ، قال الكتبي في فواته : « سماه بذلك لأنه في أخبار الشعراء ، ولا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة ، ولهذا سمي الصولي كتابه في أخبار الوزراء بالأوراق لانه أطال في أخبار كل واحد بأوراق » .

إن التسمية بالورقة أو الاوراق وتخصيصها بنوع خاص من التأليف يدل على مبلغ التفنن في التصنيف في العصر العباسي ، والحضارة اذا استبحرت في أمة كثر فيها التفنن واختراع ما لم يكن معهوداً من قبل ، وهذه التسمية بالورقة يذكرنا بلفظة الوريقة Feuilleton في اللغة الفرنسية ، وهي تطلق على مقالة في الادب أو العلم أو النقد أو على رواية تظهر تباعاً في احدى الجرائد وتنشر ابداً في موضع خاص بها ، واكثر ما يكون ذلك في اسفل الصفحة من الجريدة .

ولقد أصبح كتاب الورقة لندرته في حكم المفقود ، وبلغنا أنه لا توجد منه نسخة قديمة الا في دار الكتب في طهران ، ثم علمنا أن لدى صديقنا السيد أحمد الصافي النجفي نسخة مخطوطة من كتاب الورقة ، فبادرت الى زيارته مع صديقنا السيد عبد العزيز الميمني ، فألفيناها بخط جميل على ورق صقيل ، وتشتمل على ترجمة خمسة وستين شاعراً منهم خمسة وعشرون ورد ذكرهم في الاغاني والوفيات وأمثالها من كتب التراجم ، والباقون اربعون شاعراً ليس لهم على أغلب الظن ذكر في هذه المظان .

وقد رأينا أن ننشر ترجمة الأصمعي من كتاب الورقة لتكون مثالا لسائر تراجمه ، وفيها من شعر الأصمعي ما لم نظفر به في المخطوطات والمطبوعات التي عرفناها ، وهذه الترجمة ، كما يرى القارئ ، في نحو ورقة أي صحيفة ذات صفحتين ، وهو السبب الذي من أجله سمى ابن الجراح مؤلفه اللطيف بكتاب الورقة كما نقله الكتبي في فواته الينا :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصمعي

عبد الملك بن قُريب الباهلي ، ويكنى أبا سعيد البصري ، راوية للشعر والغريب ، موثوق به في الحديث ، روى عنه يحيى بن معين فأكثر ، وصحب الرشيد وأعطاه مالا جزيلا وخص به ، وله أشعار جياد وأراجيز ، ومن قوله في إسحق بن إبراهيم الموصلي :

إذا تغنّيت للشَرب الكرام ألا ... حثّ الخليطُ جمال الحيّ فانطلقوا
وقيل: أحسنت فاستدعاك ذاك الى ... «ياقلب ويحك لا يذهب بك الحزن»
وقيل أنت حسان الناس كلهم ... وابن الحسان فقد برّوا وقد صدقوا
فما بهذا نقوم النادبات ولا ... تبكي عليك اذا ماضمك الحزُن[1]

وكان الشعر سهلا عليه لو لا على لسانه[2] ، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذل :

لن تُلبسوا منطقي بمشكله ... الا عن الاصمعيّ أو خلفِ

يريد خلف الاحمر ؛ قال أحمد بن القاسم بن يوسف الكاتب عن عمه علي بن يوسف بن العباس عن الأحنف أنه أنشد الرشيد أبياته التي يقول فيها :

إذا ما شئت ان تبصر ... شيئاً يعجب الناسا
فصوّر ههنا فوزاً ... وصوّر ثَم عباسا
وقس بينهما شبراً ... وإن زاد فلا باسا
فان لم يدنوا حتى ... ترى رأسيهما راسا
فكذّبها وكذّبه ... بما قاست وما قاسي

قال فاستحسنها الرشيد وقال : هل سبقك إلى هذا المعنى أحد ؟ نقال : عليّ بالاصمعي وسأله : هل تعرف شيئاً منه ؟ قال : كثير ، ولكن حاقن

---

(١) لغة في الحزن بسكون النون وفتح الحاء او جمع حُزَنة ، أو تكون (الحزن) جمع حَزَن

(٢) كذا ، ولعل الاصل لولا ثقل على لسانه او حبسة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واعجلني الرسول عن البول ، فخرج ثم رجع وقد صنع أبياتاً مثلها على الراء وعلى القاف ، قال فيها :

يعجب الحلقا ، يعجب البشرا ، وأتمها على هذا ، وزعم انه سمعها مذ دهر فخجلت وانصرفت محزوناً ، فقلت له لما خرجت : سألتك بالله ، الست انت صنعتها ؟ قال : بلى ، وانت أيضاً فعادِ الرجال ! وكتب الي الكراني أنشدني عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي لعمه أرجوزة طريفة اولها :

يارُبَّ خود من بنات الاحرارْ من آل كسرى في ذرى الزند الوارْ
يستن في مفرقها مسك الفارْ كأنها من جسد في الاعطار
وزعفران شرقٍ بالابصار عدا على لباتها عرق ضار
يموت فيها فيشر كالطومار مستغنياً عن عمرات العطار

وهي نيف وخمسون بيتاً ، قال ابو هفان : ليس في وصف وقعِ شيءٍ على شيءٍ احسن من قول الاصمعي :

كأنما وقع أقلام الرجال بها حسن الطراف بوقع المسبل الساري

وهذا يقوله في قصيدته التي يرثي بها سفيان بن عيينة أنشدنيها ابن فهم عن الاصمعي ، ومن قول الاصمعي في الحية :

أرقش أنّ أسبط أو تثنى حسبتَ ورساً خالط اليُرَنّا (١)
خالطه من ههنا وهنّا اذا تراآه الحداةُ استنا

التنوخي

(١) اليُرنّاء والاَيرنأ واليرنّاء : الحناء ، وقيل : إذا قلت الاَيرَنأ بفتح الياء همزت لاغير ، وإذا ضممتَ جاز الهمز وتركه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net